الفصل الثاني

النبوات عند القاسمي

ويشتمل على:

تمهيد، وثلاث مباحث:

المبحث الأول: بيان مفهوم النبي والرسول والعلاقة بينهما وحاجة البشرية إلى الرسالة.

المبحث الثاني: إثبات النبوة.

المبحث الثالث: عصمة الأنبياء.

تمهيد

إن أمر النبوة من الأمور الهامة في حياة البشرية، والأحرى بباحث العقيدة أن يتعرض لها، ويثبتها بالدليل والبرهان، حتى لا يترك المجال فارغًا أمام المشككين في أمور العقيدة؛ فيردوا الناس عن الإيمان والاعتراف بها، فهي على أهمية قصوى إذ أنها تبحث فيما يجب للرسل والأنبياء، وما يجوز وما يستحيل في حقهم، وتبحث في المعجزات التي أيد الله بها رسله، وجعلها دالة على صدقهم، والقاسمي كأحد الباحثين في مجال العقيدة نجده قد أولى أمر النبوات اهتمامًا لا بأس به.

المبحث الأول

ويشتمل على:

١- تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

٢- حاجة البشر إلى الرسالة ورأي القاسمي فيها.

٣- آراء أشهر الفرق في حكم إرسال الرسل.

المبحث الأول

النبي والرسول الفرق بينهما وحاجة البشر إلى الرسالة

النبوة هي:

كون الإنسان مبعوثًا من الحق إلى الخلق[١].

والنبي في اللغة:

أ- إما أنه مأخوذ من مادة: نبأ، فيكون هو المخبر عن الله ﷻ، والاسم منه: نبيء، والنبأ هو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢].

ونبيء بالهمزة لغة رديئة ويجمع على أنبياء.

ب- وإما أن يكون مشتقًّا من النباوة وهو الشيء المرتفع، والنبي: العلم من أعلام الأرض التي يهتدي بها، ويشتق منه النبي؛ لأنه أرفع خلق الله تعالى، وسمي بذلك لارتفاع قدره وشرفه على سائر الخلق، فالنبي على هذا هو الرفيع المنزلة عند الله.

جـ- وإما أن يكون من النبي، وهو الطريق والأنبياء طرق الهدى[٢].

أما الرسالة فهي: سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خليقته ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم عن مصالح الدنيا والآخرة[٣].

والرسول في اللغة:

المتابع، وهو مأخوذ من قولهم: جاءت الإبل رَسَلاً؛ أي: متتابعة، ومعناه: الذي يتابع أخبار الذي بعثه، وسمي الرسول رسولاً؛ لأنه ذو رسالة[٤].

---

(1) شرح المقاصد للتفتازاني جـ٢ صـ١٢٨.

(2) لسان العرب، المجلد السادس صـ٤٣١٥، ٤٣٣٣، وأصول الدين للبغدادي صـ١٥٤.

(3) شرح العقائد النسفية صـ٨٥.

(4) لسان العرب، المجلد الثالث صـ١٦٤٥.

والرسول أخص من النبي؛ لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً[١].

ويتضح المفهوم الاصطلاحي لكل منهما ببيان آراء العلماء في التفريق بينهما.

١- هناك من العلماء من لم يفرق بين النبي والرسول كسعد الدين التفتازاني؛ إذ يقول: النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرسول[٢]، وممن ذهب إلى عدم التفريق بينهما وأنهما أيضًا بمعنى واحد القاضي عبد الجبار من المعتزلة إذ يقول: إن هذه من الألفاظ المتساوية فيصدق كل منهما على كل ما يصدق عليه الآخر، فكل نبي رسول، وكل رسول نبي[٣]، ثم علل عدم التفريق بقوله: «والذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هو أنهما يثبتان معًا ويزولان معًا في الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفى الآخر لتناقض الكلام، وهذا هو أمارة إثبات كلتا اللفظتين المتفقتين في الفائدة»[٤]، وبناءً على ما سق فلا فرق بين النبي والرسول إلا من حيث الوصف العنواني، وحينما يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ نعلم أن المخاطب رسول، وحينما ينبئ الخلق نعلم أنه نبي، وحينئذٍ تكون الرسالة والنبوة شيئًا واحدًا[٥].

---

(1) لسان العرب، المجلد السادس صـ٤٣١٦.

(2) شرح المقاصد صـ١٢٨.

(3) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار (١٥/ ١٢) ط المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، تحقيق/ نخبة من العلماء سنة ١٩٦٥.

(4) شرح الأصول الخمسة لقاضي القضاة/ عبد الجبار بن أحمد، تعليق الإمام/ أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان صـ٥٦٨، نشر مكتبة وهبة، ط٣ سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(5) القول السديد في علم التوحيد، تأليف د/ محمود أبو دقيقة، تحقيق د/ عوض الله حجازي جـ٢ صـ١٥٧، الطبعة الأولى، طبع مجمع البحوث الإسلامية سنة١٤١٥هـ =

٢- أ- وهناك من العلماء من فرق بينهما بأن النبي: إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه ولم يخص بشريعة وكتاب، والرسول من خص بشريعة وكتاب[١]، وحينئذٍ يكون الرسول أخص من النبي، والنبي أعم، وتكون النسبة بينهما العموم والخصوص المطلق؛ حيث يجتمعان في الرسول، وينفرد الأعم وهو النبي بمن ليس له شريعة وكتاب[٢].

ب- وهناك من فرق بينهما أيضًا، لكن من ناحية أخرى وهي التبليغ وعدمه، فعرفوا النبي: بأنه إنسان أنبأه الله تعالى بخبر السماء ولم يأمره بتبليغ غيره، والرسول: إنسان أنبأه الله بخبر السماء وأمره بتبليغ غيره، فالنسبة بينهما أيضًا عموم وخصوص مطلق، لكن جهة العموم تختلف عن السابقة؛ حيث يجتمعان في التبليغ، وينفرد الأعم وهو النبي بعدم التبليغ، فالرسالة أعم من جهة نفسها؛ لأن النبوة جزء منها، وأخص من جهة أهلها[٣].

جـ- وقد سلك ابن تيمية طريقًا آخر في التفريق بينهم، فعرف النبي بأنه: هو الذي أوحي إليه ويخبر عن الله ما أخبر به، ولم يرسل إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، ولكنه يعمل بشريعة من قبله، والرسول: هو الذي أوحي إليه ويخبر به وأرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغهم رسالات الله تعالى، واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥٢].

=

١٩٩٥م بتصرف.

(1) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٢٨ بتصرف.

(2) قضايا النبوات د/ محمود عبد المعطي بركات، صـ١٨، نشر دار الهدى للطباعة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.

(3) ينظر شرح الطحاوية جـ١ صـ١٥٥ بتصرف.

فكل من النبي والرسول يقع تحت عموم قوله: ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾، لكن قد خص أحدهما بأنه رسول والثاني نبي، ولا يشترط في الرسول أن يأتي بشريعة جديدة بدليل أن سيدنا يوسف عليه السلام كان رسولاً، وكان على ملة سيدنا إبراهيم يقول تعالى في شأنه: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولاً ﴾ [غافر: ٣٤][(١)].

بعد هذا العرض في الفرق بين النبي والرسول، فإني أميل إلى القول بالتفريق بينهما لأمور:

١- موافقة ذلك لما عليه اللغة، وقد أسلف الكلام عن أصلهما اللغوي.

٢- إخبار القرآن عن التفريق بينهما؛ إذ يستحيل في حق القرآن أن يكون شيء من ألفاظه ملقى بلا فائدة، ونلمس التفريق الواضح في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ ﴾ [الحج: ٥٢].

٣- التنويه بشأن بعض الأنبياء في القرآن وأنهم لم يأمروا بتبليغ رسالة إلى قومهم، كما أنهم لم يذكروا في عداد الرسل؛ يقول تعالى في شأن أحدهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٦][(٢)].

٤- تصريح بعض العلماء بأن القول بالتفريق هو الصحيح، وهو الذي عليه الجماء الغفير[(٣)]، فظهر بذلك أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، وهذا هو رأي كثير من علماء التوحيد[(٤)].

---

(1) ينظر: النبوات لابن تيمية صـ١٧٢، ١٧٣، نشر دار الفتح بتصرف.

(2) ينظر العقيدة الإسلامية وأسسها صـ١٧٢، ١٧٣ بتصرف.

(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض جـ١ صـ٣٤٧.

(4) أمثال ابن تيمية في النبوات صـ١٧٢، ١٧٣، وابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية

حاجة البشر إلى الرسالة

إن حاجة البشر إلى إرسال الرسل لا تقل في أهميتها عن حاجتهم إلى الهواء الذي يتنفسونه، ولو انقطع لفترة بسيطة لهلكوا؛ ذلك لأن إرسالهم فيه إيفاء لحاجات البشر الاجتماعية والروحية وغيرها، وهي مطالب ضرورية لاستقامة حياة هذا النوع على هذه الأرض ولو أردنا التماس أطراف من هذه الحاجة نجدها يمكن أن تتلخص في جانبين:

الجانب الأول:

من المعلوم أن الكائن البشري مدني بطبعه، يحتاج إلى غيره، والغير يحتاج له، ولو ترك هذا الإنسان يعيش على هذه الصورة لوجدناه يبحث إلى ما يصلح حاله وحده من غير نظر إلى غيره، وذلك لتفاوت هذا النوع في إدراك حاجاته، وربما أفسد في هذا الكون وأضر بمن حوله لتحقيق لذته وشهوته مثلاً، فكان لا بد من وجود قوانين تنظم هذه العلاقات الاجتماعية بين الإنسان والكون، وبينه وبين من حوله من البشر، فتأتي هذه القوانين على لسان أناس من بني جلدته يفضلونه بمراتب من القوة العقلية، والشخصية، وهم مع ذلك مؤيدون من قبل الله تعالى خالقه بأمور تذهله وتجعله يحيد عن الوحشية والإجرام ويعيش في سلام اجتماعي مع كونه وبني جنسه، يقول القاسمي في بيان افتقار الناس إلى الرسالة: كل من لحظ بعين الحكمة والاعتبار، ونفذت بصيرته إلى مكنون الأسرار، علم حاجة البشر كافة إلى رسالة خاتم النبيين، وأكبر منة الله به على العالمين، فقد بُعث صلوات الله عليه وسلامه على حين فترة من الرسل... وفساد

=

جـ١ صـ١٥٥، والسعد قال بهذا الرأي في شرح العقائد النسفية صـ١٩، وحافظ بن أحمد حكيمي في معارج القبول جـ٢ صـ٦٤، والشيخ رشيد رضا في الوحي المحمدي صـ٣٧، نشر مكتبة القاهرة، الطبعة السادسة سنة ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م.

عام، وانتهاب للأموال والأرواح، واغتصاب للحقوق، وشن الغارات، ووأد للبنات، وأكل للدماء والميتات، وقطع للأرحام، وإعلان بالسفاح، حتى دعا داعي الفلاح وأذن الله بالإصلاح، أرسل إلى البشر رسولاً ليخرجهم من ظلمة الكفر وعمى التفكير إلى نور الإيمان وينقذهم من النار والعار ويطهرهم من مساوئ الأخلاق والأعمال[1].

الجانب الثاني:

معلوم أن الله تعالى زود الإنسان بالعقل، ولم يجعله مسخرًا لغيره، بل سخر الكائنات من حوله له، وهو مزود كذلك بحواس تساعد هذا العقل في استكشاف هذا الكون كالسمع والبصر، وكل هذه أمور جعلت منه كائنًا مفكرًا يشخص بصره إلى السماء لكي يدرك ما فيها، ثم يتطاول ويحاول أن يعرف ما وراءها، ومع هذا فالنقص يتتبعه، والقصور يلاحقه، فمعالم هذا الكون أعظم من أن يدرك كل مكوناتها هذا العقل، ونجده عندما نبحث عن إله يدين له، لم يصل في غالب أحيانه إلى الصواب، وكثيرًا ما سمعنا عن عباد النجوم، والشمس والقمر وغيرها، وتتميمًا لنعمة الله تعالى على هذا المخلوق، أرسل له الرسل، المؤيدين بكل وسائل إقناعه، فيخبروه بأن للكون إلهًا خلقه، ولم يكن هكذا من قبيل المصادفة وغيرها، وبهذا الإله أوجده في هذا الكون لغاية عظيمة يؤديها، وهو قد كفل له الرزق ووسائل الحياة، ويخبروه كذلك بأن لعقله حدودًا ينبغي أن يقف عندها، ولا يتطاول إليها، ولو فعل فضل وأضل، فهناك أمور غيبية كالبعث والنشور والجنة والنار وغيرها، سيكشف عنها بعد انتهاء حياته على هذه الأرض، ولكل هذه الأمور كان إرساله الرسل ضروريًّا لإخراج هذا الإنسان صاحب العقل القاصر من متاهة هذا الكون العظيم، وربما لو ترك على

---

(1) محاسن التأويل جـ١١ صـ٤٣١٤، ٤٣١٥.

حاله الأول لعاش قمة الشقاء، وربما لم يكن له بقاء أو عيش على هذه الأرض، ومن هنا كان الرسل مبشرين ومنذرين، وكانت رسالتهم فيها الهدى والرحمة لهذا الإنسان، وكان إرسال محمد ﷺ رحمة للعالمين، يقول تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الكهف: ٥٦]، ويقول تعالى أيضًا: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [الأحقاف: ١٢]، ويقول لمحمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧][1].

وهكذا يتبين أن في إرسال الرسل انتظام لأمور الدنيا والدين، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥]، فهذه هي الأمور التي يتم بها الكمال الشخصي للفرد، والكمال النوعي لمجتمع البشر، وبهذا ينتظم الكون كله، ونفوس الناس على نوعين: إما خيرة تنقاد لأوامر الشرع، وإما شريرة على غير ذلك، فيكفي الأولى اللطف والسلوك الطيب، والثانية لا بد من قصرها وأخذها بعصا الشدة وسياسة الملك، والرسل قد جاءت بذلك كله[2].

آراء أشهر الفرق في حكم إرسال الرسل:

١- ذهبت المعتزلة إلى القول بوجوب إرسال الرسل على الله وبنوا قولهم هذا على القاعدة المشهورة عندهم (التحسين والتقبيح العقليين)[3].

٢- ذهب جمهور الأشاعرة إلى القول بأن إرسال الرسل لطف من الله

---

(1) وينظر في ذلك: محاسن التأويل جـ٥ صـ١٧٥٤ بتصرف، ورسالة التوحيد، تأليف/ الشيخ محمد عبده صـ٧٢-٨٤، طبع مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٨٥هـ ٢٩٦٥م، والقول السديد جـ٢ صـ١٦١-١٦٤.

(2) ينظر محاسن التأويل جـ١٦ صـ٥٦٩٣، ٥٦٩٤ بتصرف.

(3) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار صـ٥٦٣.

تعالى ورحمة للعالمين لما فيها من حكم ومصالح لا تعد ولا تحصى[١].

٣- ذهب الفلاسفة إلى القول بلزوم إرسال الله للرسل، وعللوا ذلك بأن النظام الأكمل الذي تقتضيه العناية الأزلية لا يتم بدون وجود النبي المبين لقوانين العدل[٢].

٤- ذهبت الماتريدية إلى القول بأن إرسال الرسل من مقتضيات حكمة الباري، فيستحيل أن لا يوجد لاستحالة السفه عليه كما أن ما علم الله وقوعه يجب أن يقع لاستحالة الجهل عليه[٣].

وبهذا ظهر لنا من خلال حاجة البشر إلى الرسل أن القاسمي رحمه الله ذهب إلى ما ذهبت إليه الأشاعرة من أن إرسال الرسل منة من الله تعالى لعباده، واستدل على ذلك بأدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

---

(1) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٢٨.

(2) القول السديد جـ٢ صـ١٦٠، وشرح المقاصد جـ٢ صـ١٢٨، وشرح الخريدة البهية لأبي البركات أحد بن محمد الدردير صـ٣١٣-٣١٥ سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(3) شرح المقاصد جـ٢ صـ١٢٨.

المبحث الثاني

إثبات النبوة

ويشتمل على:

١ - إثبات النبوة عند القاسمي.

٢ - تعقيب.

المبحث الثاني

إثبات النبوة عند القاسمي

بعد أن تعرضت لمعنى النبوة والرسالة، والفرق بين الرسول والنبي، كان لزامًا عليَّ أن أتناول النبوة من ناحية إثباتها بالأدلة والبراهين القاطعة؛ ذلك لأن هناك من ينكرها أصلاً ويدعي عليها ادعاءات باطلة، سأتناول منها إن شاء الله، وإذا أردنا أن نقيم الحجج التي تثبت النبوة لوجدناها كثيرة، ولكيلا نقع تحت طائلة الاستطراد يمكن أن نتحدث عن بعض منها من خلال نظرة القاسمي إليها وهي كالآتي:

١- التركيب البشري للنبي دليل على النبوة:

والقاسمي يقرر فيه أنه يجب في حق النبي أن يكون من أكرم مكان في الأرض(١)، ومن عنصر كريم وبين فضل(٢)، فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤]، ولا بد للنبي أن يكون له سمت خاص،

---

(1) من تفضيل الله تعالى للنبي محمد ﷺ أن اختاره من خير البلاد وأشرفها، وهي البلد الحرام، فقد جعلها الله تعالى بلدًا لنبيه، ومقصدًا لأمته يؤدون فيها مناسكهم، ويدخلونها متخشعين متذللين متواضعين، متجردين عن لباس أهل الدنيا، ولقد جعل الله تعالى زيارة هذا المكان من آكد فروض الإسلام وأقسم به في كتابه.
زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق/ شعيب الأرناءوط، وعبد القادر الأرناءوط، صـ٤٦-٥٦، نشر/ مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، توزيع دار الريان للتراث، الطبعة الخامسة عشر، سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(2) وليس أدل على ذلك مما قال ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» [صحيح مسلم، شرح النووي جـ١٠ صـ٣٦].

ونور يروق له كل من يراه[١]، وأخلاق يعلو بها على سائر البشر كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤][٢]، ولا بد له أيضًا أن يكون كلامه ذا حجة على من سمعه، وهذا يكون بتأييد الوحي له يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢][٣]، ومن رأى النبي ﷺ على هذه الصورة المكتملة، ولديه من العقل ما يساعده على إدراكها كان عليه أن يوقن بأن من كان فيه هذه الصفات مرسل من عند الله تعالى، وهذا ما كان من سيدنا أبي بكر ﷺ عندما عرض عليه الرسول ﷺ الإسلام تلقاه بالقبول[٤]، وكل هذه خصائص وصفات بشرية إذ دان بها شخص النبي الكريم، بلغ فيها الذروة والكمال، ولقد نقل

---

(1) ففي الأثر: «كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخمًا، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر... له نور يعلوه» مختصر الشمائل المحمدية للترمذي وبهامشه العطر الشذى في شرح مختصر شمائل الترمذي للشيخ عبد الحميد الشرنوبي صـ٩، ١٠. طبع مكتبة الآداب.

(2) وفي الأثر عن أنس ﷺ قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أفٍ قط، وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عرق النبي ﷺ» المرجع السابق صـ١٠٩، ١١٠.

(3) وليس أدل على ذلك قاله الصحابة -رضوان الله عليهم- له: «ما رأينا الذي هو أفصح منك؟ فقال: وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين»، وقال مرة أخرى: «بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد»، فجمع له بذلك ﷺ قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مرده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق علي محمد البجاوي جـ١ صـ١٠٦ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٩٧٧م.

(4) دلائل التوحيد للقاسمي صـ١٤٢، نقلاً عن الراغب الأصفهاني من كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق ودراسة د/ أبو اليزيد العجمي صـ٢٠٥، ٢٠٦، نشر دار الصحوة، ودار الوفاء. الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م بتصرف.

القاسمي عن الماوردي[١] نصًّا يبرهن به على النبوة -من خلال خصائص النبي ﷺ- وفضائله، ومؤداه: أن كمال الاختصاص بالفضل في ذاته ﷺ من أمارات النبوة، ولما كان الكمال محتاجًا إليه في ذلك صار كالشيء المعجز؛ إذ هو موجب للصدق، الموجب للقبول، فيكون من دلائل النبوة، فهذا الكمال معتبر من أربعة أوجه: كمال الخَلْق، وكمال الخُلُق، وفضائل الأقوال، وفضائل الأعمال[٢].

٢- العلوم التي أتى بها الأنبياء دليل على نبوتهم:

وفيها يقرر القاسمي من خلال ما نقله عن العلماء مثل ابن تيمية أن من طالع كتب الفلاسفة المتقدمين، والمتأخرين منهم يجد أن كلامهم في الإلهيات والعلوم الكونية كلام قاصر جدًّا، وفيه خلط واضطراب ويورث أتباعهم حيرة؛ نظرًا لأن شريعتهم غير واحدة، وآراءهم مختلفة، بينهما يجد إجادتهم في الأمور الطبيعية، أما الأنبياء فهم على العكس من ذلك فشريعتهم واحدة، وكلهم ينهل من منبع واحد، فمصدرهم هو الوحي الذي لا يمكن لأي مخلوق غيرهم أن

---

(1) الماوردي: أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري، الشافعي، أقضى القضاة، وكان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين، وله تصانيف عدة من أجلها وأطولها كتاب الحاوي وله كتاب في التفسير مطبوع واسمه النكت والعيون. توفي سنة ٤٥٠هـ. ينظر شذرات الذهب جـ٣ صـ٢٨٥، لسان الميزان جـ٤ صـ٢٦٠، الأحكام السلطانية للماوردي صـ٦٩.

(2) ينظر في ذلك دلائل التوحيد صـ١٧٥ نقلاً عن أعلام النبوة للإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي خرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ خالد عبد الرحمن العك صـ٣٠٩-٣١١ ط١، دار النفائس سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م. ومن منطلق قول الشاعر:

ما قاله البروفسور بورسورث سميث عن رسول الله ﷺ عندما ألقى نظرة إجمالية استعرض فيها صفاته وبطولاته ما كان منها في بدء نبوته، وما حدث منها بعد ذلك: «أجده أقدس الناس، وأعلاهم مرتبة حتى إن الإنسانية لم تعرف له مثيلاً».

الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان صـ١٦٥.

يشرق عليه نوره، وبالتالي نلمس صدق أقوالهم في العلوم الكونية، واتحادها أيضًا[(١)]، وحينئذ فكل من ينفي الوحي الذي ألهم الأنبياء بهذه العلوم، فقد نفى شيئًا لا حجة له في نفيه، يقول تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس: ٣٩]، وحينئذ فإرسال الرسل رحمة للناس، وإنقاذ لهم من متاهة الاختلاف بين الفلاسفة في مثل هذه العلوم[(٢)]، وكل هذا دليل على ثبوت نبوتهم -صلوات الله عليهم أجمعين.

٣- الإخبار عن الأمور المستقبلة:

وهذا مما تثبت به نبوة الرسول ﷺ فإخباره عن مثل هذه الأمور يأخذ صورة خاصة؛ إذ أن خبره عنها يكون مفصلاً، وكأنه رآها، وهذا يختلف عن ما عُهد عن الكهنة المنجمين، فأخبارهم عادة ما تكون بجمل غير مفصلة، وكثيرًا ما تكون كاذبة، وأخبار الولاية والصلاح لا تصل إلى درجة الدقة والتفصيل التي يكون عليها خبر الأنبياء، والأمثلة على إخبار الرسول ﷺ بالأمور المستقبلة كثيرة منها خبره عن هزيمة الروم وانتصارهم بعد ذلك في بضع سنين[(٣)]، وخبره عن عدم استطاعة العرب لمعارضة القرآن والإتيان بمثله[(٤)]، وخبره عن

---

(1) مثل هذه العلوم العلم بالخالق تعالى، وأصل الإنسان وأطوار تكوينه، وأصل السماوات والأرض إلى غير ذلك.

(2) ينظر في ذلك دلائل التوحيد صـ١٤٤، ١٤٥، وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، تحقيق/ عبد الأعلى عبد الحميد حامد صـ١٩٠، نشر الدار السلفية بومباي، الهند. توزيع/ دار الريان للتراث، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(3) يقول تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [الروم: ١-٤]، وينظر تفسير القاسمي لهذه الآيات جـ١٣ صـ٤٧٦٥.

(4) يقول تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

فتح مكة ودخول البيت الحرام[١]، إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي أخبر عنها الرسول ﷺ، وقد كان لها وقوع بالفعل[٢]، وإخباره ﷺ أيضًا عن الأمور الماضية يعد دليلاً على نبوته، كإخباره عن الرسل السابقين كموسى، ونوح، وإبراهيم، وإخباره عن الأمم السابقة كعاد، وثمود من غير معرفة سابقة، على حد قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩][٣].

٤- انتصار دعوة الرسول ﷺ:

ويقيم القاسمي انتصار دين الإسلام دليلاً على نبوة الرسول ﷺ؛ إذ أنه أتى إلى قوم غلاظ لا يدينون لأحد، همهم أن يعيشوا ولو على حساب ضعفائهم نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم، فدعاهم إلى الإسلام، فآذاه قومه وظل معهم يدعوهم إلى الله تعالى حتى انقاد أكثرهم، وتغيرت طبائعهم من ظلم الجاهلية إلى عدل الإسلام، ومن عادات السلب والنهب والثأر إلى عادات الإسلام السليمة التي هذبت الطباع، وعدلت العقول، ومن تدبر سيرة الرسول ﷺ يجد أن كثيرًا من الملوك انقادوا لدعوته طوعًا؛ مثل ملك اليمن وعمان، والمنذر بن ساوى ملك الحيرة، والنجاشي ملك الحبشة وغيرهم الكثير[٤]، ويقول القاسمي: «إن انقياد الملوك المذكورين له -صلوات الله وسلامه عليه- وإيمانهم به منقول بالنقل

---

(1) يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧].

(2) وينظر شرح المقاصد صـ١٣٨.

(3) ينظر شرح المقاصد، ص١٣٨.

(4) دلائل التوحيد صـ١٦٤، والفصل لابن حزم جـ٢ صـ٢٢٤، ٢٣٢.

الذي لا يشوبه شائبة تردد، وهو خبر التواتر... وقد روي إسلام النجاشي[١] من طرق كثيرة، وروايات متنوعة، وكلها متجاوبة الأطراف في تحقيق إسلامه، ولو لم يكن منها إلا ما صح عنه ﷺ من صلاته عليه لما جاء نعيه لكفى»[٢].

٥- إخبار الأنبياء عن نبوته ﷺ:

وهذا أيضًا مما استدل به القاسمي على إثبات نبوة النبي ﷺ؛ إذ ذكر نصوصًا كثيرة من كتب الأنبياء المتقدمين تبين أنهم بشروا بالنبي ﷺ منها:

أ- ما ورد في الباب الثالث والثلاثين من سفر التثنية:

١- وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته.

٢- فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. ثم علق القاسمي فقال:

«لا غموض بأن مجيء الله جل وعلا من سيناء عبارة عن إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء -هكذا يفسرها أهل الكتاب- والأمر كذلك فيجب أن يكون إشراقه من سعير عبارة عن إنزاله الإنجيل على المسيح، وكان المسيح

---

(1) النجاشي: هو آصحمة ملك الحبشة، وآصحمة بالعربية عطية، معدود في الصحابة -رضي الله عنهم-، وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحبي من وجه، توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أن صلى على أحد سواه، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى، ولم يكن عنده من يصلي عليه، وكان لبيبًا حازمًا، توفي في شهر رجب سنة تسع من الهجرة.
ينظر في ذلك: سير أعلام النبلاء جـ١ صـ٤٢٨، أسد الغابة جـ١ صـ١١٩، نسب قريش (٨١، ١٢٣، ١٢٤، ٢٥١، ٣٢٢).

(2) ينظر هامش دلائل التوحيد صـ١٦٦.

يسكن أرض الجليل من سعير بقرية تدعى ناصرة واسم النصارى مأخوذ منها، واستعلاؤه من جبل فاران عبارة عن إنزاله القرآن على محمد في جبل فاران، وفاران هي مكة، لا يخالفنا في ذلك أهل الكتاب»[(١)]، ثم ذكر أدلة كثير من التوراة اكتفينا منها بالسابق.

ب- وذكر أيضًا أدلة كثير من الإنجيل نكتفي منها بما نقله القاسمي عن إنجيل يوحنا في الباب الرابع عشر: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه، ولا يعرفه وأنتم تعرفونه؛ لأنه مقيم عندكم، وهو ثابت فيكم»، وعلق القاسمي على ذلك بقوله: «هذه بشارة من المسيح عليه السلام بأن الله سيبعث للناس من يقوم مقامه، وينوب في تبليغ رسالته وسياسة خلقه منابه، وتكون شريعته باقية مخلدة أبدًا، وهل هذا إلا محمد ﷺ والأب هنا بمعنى الرب والإله؛ لأنه اصطلاح أهل الكتابين، وقد أشار عيسى بكونه (روح الحق) إلى أن الحق قبل مبعثه يكون كالميت لا حراك ولا انتعاش، وأنه إذا بعث يكون كالروح له، فيرجع حينئذ قائمًا في الأرض، ولا خفاء أنه - عليه الصلاة والسلام- هو الذي أحيا الله به الحق بعد عيسى -عليه السلام- بعد ما اندرس... ومن أمعن النظر في العبارات السابقة جزم بأن الفارقليط هو محمد ﷺ[(٢)]»، ثم ذكر القاسمي في نهاية كلامه بأن «من أسلم من علماء اليهود

(1) ينظر محاسن التأويل للقاسمي جـ٧ صـ٢٨٧٤، ٢٨٧٥. وفاران أحد العمالة السبعة الذين أقسموا الأرض فجعلوا لفاران الحجاز، ينظر في ذلك «النصحية الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية»، تأليف/ نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب، تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي صـ١٤٤ دار الصحوة.

(2) محاسن التأويل جـ٧ صـ٢٨٧٧، ٢٨٧٨، هذا ولقد راجعت النص في نسخة لإنجيل يوحنا النص موجودًا بتمامه غير أنهم أبدلوا كلمة مغزى من كلمة فارقليط، وربما كان =

والنصارى في القرن الأول شهد بوجود البشارات المحمدية في كتب العهدين مثل عبدالله بن سلام[١]، والنجاشي[٢]، وبنيامين[٣]، ومخيريق[٤]، وكعب الأحبار[٥]،

=

ذلك بعد أن أدركوا أن معنى كلمة فارقليط يؤدي إلى أن يكون محمد ﷺ هو المقصود، واتخذه المسلمون دليلاً على إثبات بشارة عيسى من خلال أناجيلهم المحرفة فغيروه إلى مغزى، وهذا مما يصلح لأن يكون دليلاً على ثبوت بشارة عيسى عليه السلام بسيدنا محمد ﷺ، وضعف موقف النصارى في إنكار ذلك. ينظر إنجيل ربنا يوسع المسيح للقديس يوحنا الفصل الرابع عشر صـ٣٩، طبع دار السلام.

(1) عبد الله بن سلام: هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف حليف القوافلة، من بني عوف بن الخزرج، من الأنصار، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة.

قيل: كان اسمه الحصين فسماه رسول الله «عبد الله»، وشهد له بالجنة ونزل فيه قرآن يتلى، وشهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس والجابية. مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين.

طبقات ابن سعد حـ ٢ ص٣٥٢، الاستيعاب حـ٣ ص٩٢١، سير أعلام النبلاء حـ٢ ص٤١٣.

(2) سبق ترجمته ص٢٥٢.

(3) بنيامين: بنيامين يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم عليهم جميعًا السلام فهو أخو سيدنا يوسف لأبيه، وأمه راحيل بنت لبان بن ناهر. وماتت أمه حين ولادته. وقصتهما بالشهرة بمكان. تاريخ الطبري (جـ١ ص٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٤٨) البداية (جـ١ ص٢٩٩) الكامل في التاريخ (جـ١ ص٧١، ١٢٠، ١٤١، ١٥٧).

(4) مخيريق: النضري الإسرائيلي من بني النضر، ذكر الواقدي: أنه أسلم واستشهد بأحد وقال: إنه من بني قينقاع ويقال من بني الفيطون، كان عالمًا، وكان أوصى بأمواله للنبي ﷺ وهي سبع حوائط، فجعلها ﷺ صدقة. قتل يوم أحد. ولما قتل قال النبي ﷺ: مخيريق خير يهود.

الإصابة جـ٣ ص٣٩٣، الطبقات جـ١، ص٥٠١، ٥٠٥.

(5) كعب الأحبار: هو كعب بن مانع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار من آل ارُتمِيْن، أدرك النبي ﷺ وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ويقال في خلافة عمر، ويقال: أدرك الجاهلية. توفي سنة اثنين أو أربع وثلاثين.

=

وغيرهم[١]. وقد اعترف بصحة نبوته وعموم رسالته هرقل قيصر الروم والمقوقس صحابي مصر وابن صوريا وحيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب وغيرهم ممن حملهم الحسد على الشقاء ولم يسلموا»[٢] ولم يكتف القاسمي بذكر البشارات فقط بل نقل جوابًا «لداود أفندي مجاعص» من كتاب «المسيحيين ونوابغهم» عندما سئل عن أعظم رجل في العالمين ولماذا؟ فقال: «أعظم رجال العالم على الإطلاق رجل وضع في عشر سنين دينًا وفلسفة وشريعة اجتماعية وقوانين مدينة وغيَّر شريعة الحرب وأنشأ أمة ودولة طاولت الدهر وكان أميًّا؛ ذلك هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي العربي نبي المسلمين...»[٣].

تعقيب:

بعد عرض الأدلة على إثبات النبوة، وجدنا أنها كثيرة؛ نظرًا لسعة الفكر لدى العلماء (علماء الإسلام)، فكما رأينا وجدناهم اتخذوا من كل شيء متعلق بفضائله وأخلاقه أدلة على نبوته[٤]، وهناك أدلة أخرى تعرض لها القاسمي كآية كمال الدين التي استنبطها من ابن القيم[٥]، وهناك أيضًا أعظم الأدلة على نبوته ﷺ وهو القرآن الكريم المعجزة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن الملاحظ أن القاسمي في استعراض أدلة إثبات النبوة كان يركز على سيدنا محمد ﷺ

=

تهذيب الكمال جـ٢٤ ص١٨٩، وطبقات خليفة بن خياط ص٣٠٨، سير أعلام النبلاء جـ٣ ص٤٨٩.

(1) ينظر في ذلك النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص١٩-٢٣.

(2) ينظر محاسن التأويل جـ٧ ص٢٨٨٠، ٢٨٨١ نقلاً عن إظهار الحق تأليف الشيخ/ رحمة الله الهندي جـ٢ ص٢٥٥ نشر مكتبة الثقافة ط١ سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(3) ينظر دلائل التوحيد هامش ص١٧٤.

(4) ينظر دلائل التوحيد ص١٧٥، ١٨٧.

(5) المرجع السابق ص١٨٧، ١٨٨.

وأرى أنه لا بأس في ذلك؛ إذ أن إثبات رسالته ﷺ تعد إثباتًا لنبوة جميع الأنبياء عمومًا، إذ لا يكمل الإيمان به إلا بالإيمان بهم جميعًا.

ويرى القاسمي أن من ينظر لهذه الأدلة، يجب أن ينظر إليها بعين الإنصاف، ويجرد نفسه من نوازع الهوى والتعصب حتى يرى نور الحق واضحًا جليًّا، ثم يتخذ من نفسه شاهدًا على جهاد الرسول ﷺ في طرد الفساد، وعمله الدائب على طريق الحق[1]. صلوات الله وسلامه عليه.

(1) المرجع السابق هامش ص١٦٩.

المبحث الثالث

عصمة الأنبياء

ويشتمل على:

١- رأي القاسمي في عصمة الأنبياء.

٢- آراء أشهر الفرق في عصمة الأنبياء.

٣- تعقيب.

عصمة الأنبياء

قبل التعرض لرأي القاسمي في عصمة الأنبياء يجدر بنا أن نقف على تعريف العصمة في كلام العرب.

العصمة في كلام العرب المنع. وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه. عصمه يعصمه: منعه ووقاه. والعصمة: الحفظ[١].

أولاً: رأي القاسمي في عصمة الأنبياء:

قال القاسمي في تعريفها: «حقيقة عصمة الأنبياء هي نزاهتهم، وبعدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي بعثوا لتزكية الناس منها، لئلا يكونوا قدوة سيئة، مفسدين للأخلاق والآداب، وحجة للسفهاء على انتهاك حرمات الشرائع، وليس معناها أنهم آلهة منزهون عن جميع ما يقتضيه الطبع البشري»[٢].

ويعلل الراغب الأصفهاني[٣] القول بوجوب عصمة الأنبياء بقوله:

«ولما لا يكون الأنبياء كذلك ومنزلتهم من أممهم بمنزلة الشمس من القمر ومنزلة علمهم من علوم أممهم بمنزلة ضوء الشمس من نور القمر»[٤].

وأنبياء الله هم الذين اصطفاهم الله لرسالته قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] ووصفهم بالأخلاق العظيمة ونزههم عن السيئات والمعاصي صغيرها وكبيرها. ومنهم

---

(1) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي جـ٢ ص٥٦٦ طبع المطابع الأميرية بالقاهرة ط السادسة سنة ١٩٥٠م. لسان العرب جـ٤ ص٢٩٧٦ مادة عصم.

(2) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٥٣٠.

(3) الراغب الأصفهاني سبق ترجمته ص ٩٩.

(4) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين تقديم د/ أسعد العمراني ص١٩٧ نشر دار النفائس ط١ سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

من اصطفاه الله لنفسه، ومنهم من اجتباه بعلمه، وهم وإن تفاوتوا في الفضل إلا أنهم بلغوا الغاية من السمو الروحي والصلة بالله، ونصوص الكتاب الكريم شاهدة على وصفهم بالطهر والنزاهة ومثل هؤلاء لا يمكن إلا أن يكونوا معصومين فلا يتركون واجبًا، ولا يفعلون محرمًا، ولا يقترفون ما يتنافى من الخلق الكريم[١].

ومن أجل ذلك نجد القاسمي -رحمه الله- أثبت العصمة لجميع الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام إذ قال إثر تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١] أي ما صح وما تأتى لنبي من الأنبياء أن يخون في المغنم، بعد مقام النبوة وعصمة الأنبياء عن جميع الرذائل، وعن تأثير داوعي النفس والشيطان فيهم[٢] ولم يكتف القاسمي بإثبات العصمة إجمالاً بل أتى على جميع الآيات التي ظاهرها أنها تنافي العصمة بالتوضيح وبيان الحق فيها، ولتوضيح ذلك نذكر بعضًا من النماذج لنرى مدى تمكن القاسمي -رحمه الله- لنفي كل ما ظاهره إخلال بمكانة النبوة.

الأنموذج الأول:

ما رواه بعض المفسرين عقب قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠] من أن المراد بهذا السياق هو آدم وحواء ووقوع الشرك لآدم

(1) العقائد الإسلامية للشيخ سيد سابق ص١٥٧، ١٥٨، نشر دار الفتح للإعلام العربي سنة ١٤١٢هـ١٩٩٢م بتصرف.

(2) محاسن التأويل جـ٤ ص١٠٢٤.

كان قبل البعثة.

موقف القاسمي -رحمه الله- من قول بعض المفسرين.

نجد القاسمي عند تفسيره لهذه الآية يبين أنها سيقت توبيخًا للمشركين في جنايتهم، بالشرك، ونقضهم ميثاقهم في جريهم على خلاف ما يعاهدون الله عليه. وذلك أنه تعالى ذكر ما أنعم به عليهم من الخلق من نفسٍ واحدة، وجعل أزواجهم من أنفسهم ليأنسوا بهن ثم إنشائه إياهم بعد الغشيان، متدرجين في أطوار الخلق من العدم إلى الوجود، ومن الضعف إلى القوة ثم بيَّن إعطاءهم المواثيق إن أتاهم ما يطلبون وولد لهم ما يشتهون ليكونن من الشاكرين. ثم أخبر عن غدرهم وكفرهم بهذه النعمة، التي امتن سبحانه بها عليهم، ونقضهم ميثاقهم في إفراده بالشكر حيث أشركوا معه غيره في ذلك[1]..

ولم يكتف القاسمي بذلك بل قال بأن ما ذكره المفسرون من أن المراد بالسياق آدم وحواء لا حاجة إلى ذكره للأسباب الآتية:

(أ) اعتمادهم على روايات واهية الإسناد ومعلولة.

(ب) الشرك في حق الأنبياء منتفٍ عنهم قبل البعثة وبعدها.

(ج) رواية بعض السلف لهذه الآثار لا يجدي في صحتها، لأنها مأخوذة من أهل الكتاب.

(د) قول بعضهم إن هذه الروايات مقتبسة من مشكاة النبوة لأنها رويت عن فلان وفلان، كله من تنميق الألفاظ لتمزيق المعاني، إذ أن المشكاة النبوية أجل من أن يقتبس منها إلا ما هو معروف بالجودة[2].

وبعد تضعيف القاسمي -رحمه الله- هذا القول نجده يعضد قوله بما نقله

---

(1) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٩٢٠ بتصرف

(2) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٩٢١ بتصرف

عن الحسن البصري[١] بقوله، «وقد قرر ما ارتضيناه في معنى الآية غير واحد. قال الحسن البصري، فيما روى عنه ابن جرير: إن الآية عُنِي بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده. وفي رواية عنه: كان هذا في بعض الملل ولم يكن بآدم»[٢] ثم ذكر القاسمي بأن إسناد الرواية إلى الحسن البصري صحيح وهو من أحسن التفاسير لهذه الآية[٣].

الأنموذج الثاني:

ما ورد في حق نبي الله يوسف عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] ذكر القاسمي بأن بعض المفسرين سردوا روايات كثيرة في المراد بهم يوسف عليه السلام: وهذه الروايات لا تستحق بأن تذكر، وأنزه تأليفي عن نقلها لأنها تنافي الأدب مع نبي من أنبياء الله تعالى وهذه الروايات أخذت من أهل الكتاب وهي مختلقة على سيدنا يوسف على نبينا وعليه السلام. وهي كلها خرافات وأباطيل، والويل كل الويل لمن لاكها[٤] ولفقها أو

---

(1) هو الحسن بن الحسن البصري، واسم أبيه يسار، إمام التابعين في الفقه والحديث، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ، سمع من خلق كثير. قال فيه ابن سعد: كان الحسن -رحمه الله- جامعًا، عالمًا، فقيهًا، ثقة حجة، مأمونًا، عابدًا، ناسكًا، كثير العلم فصيحًا، جميلاً وسيمًا، وما أرسله فليس بحجة. وقال قتادة: ما جمعت علم الحسن إلى أحد من العلماء إلا كان له فضل عليه. توفي في رجب سنة عشر ومائة. سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣/ ، طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٦، أخبار القضاة ٢/ ٣.

(2) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٩٢١

(3) محاسن التأويل جـ٧ ص٢٩٢١

(4) أَلَكَ بين القوم ألكًا، وألوكًا: كان رسولاً بينهم، وفلان ألكًا أي أبلغه رسالة. لفقها قال ابن منظور: أحاديث مُلفَّفَة، أي أكاذيب مزخرفة ينظر المعجم الوسيط جـ١ ص٢٤، لسان العرب لابن منظور جـ٥ ص٤٥٦.

سمعها وصدقها[١].

وفي بيان القاسمي للمراد من الآية نجده يفسر الهم تفسيرًا لغويًا ثم قسم الهم إلى قسمين.

الأول: همٌّ ثابت معه عزم ورضا وهو مذموم مؤاخذ به.

الثاني: همٌّ بمعنى خاطر، وحديث نفس، من غير تصميم وهو غير مؤاخذ به.

ثم بيَّن العلة في عدم المؤاخذة بأن خطورة المناهي في الصدور، وتصورها في الأذهان لا مؤاخذة بها ما لم توجد في الأعيان. واستدل على ذلك بما رواه الشيخان وأهل السنن عن أبي هريرة[٢] ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدَّثت به أنفسها ما لم تتكلم بها أو تعمل به**»[٣].

ثم وضح القاسمي نوع همِّ امرأة العزيز بأنه من النوع الأول وهو همّ عزم وقصد جازم لا يلويها عنه صارف لأنها باشرت جميع مبادئه من المراودة، وتغليق الأبواب، ودعوته إلى الإسراع. أما معنى قوله تعالى ﴿ **وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ** ﴾ «أي لولا رؤيته برهان ربه لهمَّ بها، كما همت به، لتوافر الدواعي. ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء»[٤].

---

(1) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٥٣٠، بتصرف.

(2) هو محدث الأمة على الإطلاق: عبد الرحمن بن صخر الدوسي على أصح الأقوال في اسمه. أسلم سنة سبع، وروى عن النبي ﷺ ٣٧٤٠ حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على ٤٢٥ منها وانفرد البخاري بـ٧٩، ومسلم بـ٩٣ حديثًا ينظر الاستيعاب جـ٤/ ١٧٦٨، الإصابة جـ٧/ ٤٢٥، خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي جـ٣/ ٢٥٢.

(3) أخرجه البخاري بلفظ قريب منه في فتح الباري كتاب العتق باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه جـ٥ ص١٩٠ وأخرجه مسلم بلفظ قريب في كتاب الإيمان باب بيان تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، مسلم شرح النووي جـ٢ ص١٤٧.

(4) محاسن التأويل جـ٩ ص٣٥٢٨.

فالآية ناطقة بأنه لم يهمّ أصلاً وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ ثم ذكر القاسمي[1] بأن كل من له دخل في هذه القصة شهد ببراءته عليه السلام. فشهد الله تعالى بقوله: ﴿ لِنَصْرِفَ... ﴾ وشهد هو على نفسه بقوله: ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ [يوسف: ٢٦] وشهدت امرأة العزيز بقولها: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف: ٣٢] وشهد سيدها بقوله: ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٢٩] وإبليس بقوله: ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] فتضمن إخباره بأنه لم يَغْوه، ومع ذلك كله لم يبرئه أهل القصص. وهكذا اتضح أن لا شبهة على عصمة يوسف على نبينا وعليه السلام. وبأكثر من هذه الأقوال سار القاسمي -رحمه الله- في تبرئة ساحة سيدنا يوسف عليه السلام من جميع ما ألصقه أهل الكتاب به. من قولهم بوقوع الكذب منه واستدلالهم على ذلك بقوله تعالى ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ [يوسف: ٧٠] وهم لم يسرقوا شيئًا، وقوله تعالى ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] إلى آخر هذه الآيات. ولقد فنّد القاسمي هذه الشّبه وأجلى ما فيها ولولا خشية الإطالة لذكرتها ولكن نحيل عليها[2].

الأنموذج الثالث:

ما ورد في حق سيدنا داود على نبينا وعليه السلام مما ذكره البعض من المفسرين عقب قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢١-٢٣]

---

(1) بكلام نقله عن الشهاب في محاسن التأويل جـ٩ ص٣٥٣١.

(2) ينظر محاسن التأويل جـ٩ من ص٣٦٣١ إلى ص ٣٦٣٦.

من أن نبي الله داود عليه السلام كان يتنـزه فوق سطح بيته فنظر إلى بيت جاره فوجد امرأة جميلة تستحم فأعجب بها، وأرسل إلى زوجها، وجعله في مقدمة جيش المقاتلين حتى قتل، وضم زوجة هذا الرجل إلى زوجاته.

نجد القاسمي -رحمه الله- لم يقف على هذه القصة موقف المؤيد، لأنها تخدش بعصمة الأنبياء عليهم السلام بل وقف منها موقف الناقد البصير، وأبطلها بالآتي:

(١) ما ذكره القرآن في هذه الآيات على حقيقته من أن المتخاصمين من ولد آدم عليه السلام كما هو ظاهر النص ومن قال غير ذلك فقد زاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب الله ﷻ.

(٢) هذه الرواية لم تأت بطريق صحيح عن النبي ﷺ وأما الموقوف على الصحب والأتباع فمعولهم في ذلك ما ذكر في التوراة، وأن هذا من كذب اليهود على نبي الله داود على نبينا وعليه السلام.

(٣) في سند هذه القصة ابن لهيعة[١]، ويزيد الرقاشي[٢]، وكلاهما ضعيف

---

(1) ابن لهيعة هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرحان، قاضي الديار المصرية ومحدثها، ولد سنة ست وتسعين ولم يكن على سعة علمه بالمتقن، حدث عن خلق كثير، منهم ابن المبارك، وابن وهب وغيرهم. وهو ضعيف في الحديث ضعفه الدارقطني، والنسائي، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم. مات سنة أربع وسبعين ومائة. الضعفاء الصغير للبخاري ص٦٩، والتذكرة جـ١/ ٢٣٧، والتهذيب لابن حجر جـ٥/ ٣٧٣.

(2) يزيد الرقاشي هو يزيد بن أبان الرقاشي البصري أبو عمرو الزاهد العابد، كان كثير البكاء، ترك حديثه النسائي، والدارقطني، وابن معين، وغيرهم. ينظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٦٤، ميزان الاعتدال ٤/ ٤١٨، تاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ١٨٣، الضعفاء والمتروكين للنسائي مع كتاب الضعفاء الصغير للبخاري تحقيق محمود أبو زيد ص٢٥١ طبع ونشر دار المعرفة بيروت ط١ سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

عند أئمة الحديث.

(٤) الرجل الصالح من المسلمين يصون نفسه عن أن يعشق زوجة جاره ويعرض زوجها للقتل من أجل الوصول إلى شهوته، فمثل هذه الأشياء لا يفعلها إلا السفهاء وليست من أفعال أهل الصلاح والتقوى فكيف برسول من رسل الله أوحى الله إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه.

(٥) قول من قال بأن استغفار نبي الله داود كان من أجل ذلك. مجانب للصواب لأن استغفار نبي الله داود وسجوده، ومغرفة الله له. كل هذه الأشياء أفعال كريمة ولا تنكر من مذنب ولا من غيره وأولى بها أنبياء الله تعالى[١].

(٦) إضافة إلى الأقوال السابقة نجد أن أستاذنا الدكتور عوض الله حجازي قد أبطل هذه القصة بما يفهم من سياق الآيات فقال: «إن وصف الله تعالى له بالعبودية يفيد التكريم، ووصفه تعالى له بأنه (أواب) أي رجاع إلى الحق، يفيد أنه صاحب خلق كريم، وقوله تعالى ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٨]».

فإن الآية الكريمة تفيد أن داود عليه السلام والجبال التي سخرها الله له، كانا يسبحان الله تعالى وينزهانه عن النقائص في الصباح والمساء، ولا يعقل ممن يعرف ربه هذه المعرفة أن يقع في الشر والإثم، أو يزني[٢].

الأنموذج الرابع:

وبه يكون مسك الختام بذكر بعض ما ورد في حق نبينا عليه السلام، وموقف القاسمي من الآيات التي ظاهرها ينافي عصمته عليه السلام.

---

(1) محاسن التأويل جـ١٤ ص٥٠٨٨، ٥٠٩١، بتصرف.

(2) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام تأليف د/ عوض الله حجازي ص١٤٢، طبع دار الطباعة المحمدية ط٣ سنة ١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

أ- قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧] فظاهر الآية يفهم منه أن التوبة لا تكون إلا عن ذنب وقع. والنبي ﷺ بتوبة الله عليه يدل على أنه قد ارتكب ذنبًا.

ولكن القاسمي -رحمه الله- بعد أن ذكر سبب نزول الآية قال «وصدَّرها الله بتوبته على رسوله، وكبار صحبه جبرًا لقلوبهم وتنويهًا لشأنهم بضمهم مع المقطوع بالرضا عنهم وبعثًا للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين والأنصار كل على حسبه»(١) وهكذا سار القاسمي في جميع الآيات التي ظاهرها أنها تنافي عصمة النبي ﷺ وأوضح مبهمها وأزال مشكلها.

وقال عقب قوله تعالى ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] «وما اشتهر من كون العفو لا يكون إلا عن ذنب - غير صحيح - فالواجب تفسيره في كل مقام بما يناسبه»(٢).

ب- أنموذج آخر به أختم هذا البحث وهو إبطال القاسمي -رحمه الله- تعالى لقصة الغرانيق.

وآثرت أن أذكر هذه القصة وما قاله القاسمي فيها لأنني وجدت للقاسمي رأيًا يخالف رأي شيخه ابن تيمية على غير عادته المعروفة من اتباعه لابن تيمية.

فقد قال القاسمي -رحمه الله- عقب تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى

(1) محاسن التأويل جـ٨ ص٣٢٨٥.

(2) محاسن التأويل جـ٨ ص٣١٦٣.

ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٣].

قال ﴿ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ أي رغب في انتشار دعوته، وسرعة علو شرعته، ثم قال في قوله تعالى ﴿ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ أي بما يصد عنها ويصرف المدعوين عن إجابتها[١]... ثم قال «وهذا هو الصواب في تفسيره الآية... وهي غنية عن التطويل في التأويل، لولا ما أحوج المحققين إلى رد ما دسه بعض الرواة من الأباطيل[٢].

ثم ساق القاسمي ما ذكره ابن جرير[٣] في سبب نزول هذه الآية من أن رسول الله ﷺ جلس في ناد من أندية قريش، كثير أهله، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه. فأنزل الله عليه ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ١-٢]» فقرأها رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] ألقى عليه الشيطان كلمتين «تلك الغرانيق العلى.وإن شفاعتهن لترتجى» فتكلم بها، ثم مضى فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة وسجد القوم جميعًا معه، ورضوا بما تكلم به. فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة. فلما بلغ الكلمتين المذكورتين قال: ما جئتك بهاتين. فحزن رسول الله ﷺ فأنزل الله تبارك وتعالى يعزيه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا

---

(1) محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٥٣.

(2) محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٥٤.

(3) ابن جرير: هو الإمام محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، ولد سنة ٢٢٤هـ وقال عنه الذهبي أكثر الترحال،وكان من أفراد الدهر علمًا وذكاءً، قلَّ أن ترى العيون مثله، له كتاب التفسير وتهذيب الآثار وغيرهم توفي سنة ٣١٠هـ *ينظر سير جـ١٤ ص٤٦٧، وفيات الأعيان جـ٤ ص١٩١، معالم الثقافة الإسلامية ت د/ عبد الكريم عثمان ص٣٥٠-٣٥٥ نشر وتوزيع مؤسسة الأنوار الرياض ط٥ سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

مِن قَبْلِكَ﴾ الآية[١].

ثم ساق القاسمي كلام القاضي عياض في الشفاء بتوهين أصل هذه القصة من ناحية أصلها ومن ناحية معناها[٢] ثم عقب كلام القاضي عياض[٣] بكلام ابن تيمية. ومفاده إثبات صحة هذه القصة لأنها منقولة عن السلف نقلاً لا يمكن القدح فيه والقرآن يوافق ما نقلوه فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكامه آياته، إنما يكون لرفع ما وقع في آياته، وتمييز الحق عن الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها. وبعد أن انتهى القاسمي من سوق كلام ابن تيمية فند كلامه بما يدل على فقه القاسمي للآيات وأنه ليس متبعًا لشيخه في كل ما يقول بل الحق دائمًا ضالته أنى وجده فهو أحق به.

يقول القاسمي وفي كلامه - ابن تيمية - نظر من وجوه:

أولاً:

دعواه أن المأثور يوافق القرآن فإنه ذهاب إلى أن الإلقاء إلقاء في الآيات ولا تدل الآية عليه لا مطابقة ولا التزامًا بل القول بذلك ينافي التنزيل[٤] والوحي منافاة النار للماء.

---

(1) محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٥٤.

(2) الشفا جـ٢ ص٧٤٨-٧٦٨.

(3) القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، كان إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب، وله المؤلفات النفيسة منها الإكمال في شرح صحيح مسلم، ومشارق الأنوار وغيرهما كثير، توفي سنة ٥٤٤هـ بمدينة سبتة * ينظر سير أعلام النبلاء جـ٢٠، ص٢١٢، وفيات الأعيان جـ٣ ص٤٨٣.

(4) لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فالنبي ﷺ معصوم من الشيطان بالإجماع ولاسيما في مثل أمور الوحي والتبليغ، فإن كان مع عباد الله المخلصين ليس له سلطان فكيف بسيد المرسلين.

ثانيًا:

دعوه أن تلك الرواية نَقْلُهُا ثابت لا يمكن القدح فيه. فقد قدح فيها من لا يحصى من المتقدمين والمتأخرين، ويكفي أن تلميذه الحافظ بن كثير[1] قال: قد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق. ولكنها من طرق مرسلة. ولم أرها مسندة من وجه صحيح. وتعداد طرقها بعد ضعف أصلها، لا يفيد. وهذه شبهة يعتمدها كثير من الواقفين مع الروايات. يظنون أن الضعيف بكثرة طرقه يقوى. والحال أن الضعيف ضعيف كيفما جاء...

ثالثًا:

اعترافه بأن السؤال وارد على تقدير ثبوتها، وإلقاء الشيطان ذلك في مسامعهم، مما يبرهن أن فيها مغامز تنبذها العقول كما نبذتها صحة النقول»[2] ولم يكتف القاسمي بذلك بل ذكر نقولاً كثيرة تبطل هذه القصة بالقرآن والسنة والمعقول وتبين أنها من وضع الزنادقة فمن القرآن قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦] وقوله تعالى ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٣] وكلمة «كاد» معناها أنه لم يحصل وقوله تعالى ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤]

---

(1) الحافظ ابن كثير: هو الإمام الجليل الحافظ عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير البصري الدمشقي، الشافعي الفقيه المفسر المؤرخ. ولد سنة ٧٩٠هـ قدم دمشق وسمع من علمائها، ولزم ابن تيمية وامتحن بسببه، قال الداودي: كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ. وله مؤلفات نفيسة مثل التفسير، والبداية والنهاية وغيرهما.. توفي في شعبان ٨٧٤هـ. التفسير والمفسرون جـ١ ص٢٤٢، وطبقات المفسرين للداودي ص٢٧.

(2) محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٥٩، ٤٣٩٠ بتصريف.

وكلمة «لولا» في الآية تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره. فدل على أن الركون القليل لم يحصل.

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي استدل بها.

أما من السنة:

أ- فهي ما روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة، أنه سئل عن هذه القصة، فقال: هذا من وضع الزنادقة. وصنف فيه كتابًا. وقال الإمام البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ورواة هذه القصة مطعون فيهم.

ب- روى البخاري في صحيحه[1] أن النبي عليه السلام قرأ سورة «والنجم» وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق. «وأما المعقول» فمن وجوه.

أ- أن من جوّز على رسول الله ﷺ الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفيها.

ب- أنّا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوّزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] فإنه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه[2] إلى غير ذلك من الوجوه العقلية الكثيرة، ولم يكتف القاسمي بذلك بل رد على ابن حجر دعواه في صحة هذه القصة، وذكر أقوالاً كثيرة تبطل أصل هذه القصة[3]،

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، ٥٣ سورة النجم - ٤ باب فاسجدوا لله وأعبدوه.

(2) محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٦٠، ٤٣٦١.

(3) لزيادة بيان ذلك ينظر محاسن التأويل جـ١٢ ص٤٣٦٢، ٤٣٧٣.

ولولا خشية الإطالة لذكرتها لأنها مفيدة في بابها ولكن نحيل عليها[1]..

وقبل أن أنهي البحث في هذه القصة أحب أن أوضح معنى الآية.

فالمراد من الآية أن الله -سبحانه وتعالى- ما أرسل رسولاً من الرسل ولا بعث نبيًا من الأنبياء إلى أمته إلا وتمنى ذلك الرسول الإيمان لأمته وأحبه لهم ورغبهم فيه، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦] ثم تختلف الأمة فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، فأما الكافر فقد ألقى الشيطان في نفسه الوساوس القادمة في الرسالة الموجبة لكفره. والمؤمن لا يخلو أيضًا من الوساوس ولكن هذه الوساوس تختلف في الناس بالشدة والضعف. فمعنى تمنى: أي أن الرسول يتمنى الإيمان لأمته وإلقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوة من الوساوس الموجبة لكفر بعضهم، ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم، ويحكم فيهم الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة، ويبقى ذلك في قلوب الكافرين والمنافقين ليفتنوا به، فالوساوس تلقى في قلوب الفريقين معًا ولكنها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين. وصفوة القول في ذلك: أن التفسير الصحيح لهذه الآية هو الذي يجمع بين أمور ثلاثة.

العموم الذي في أولها، والتعليل الذي في آخرها من قوله تعالى ﴿ لِّيَجْعَلَ

---

(1) المرجع السابق جـ١٢ من ص٤٣٥٩ إلى ص ٤٣٧٣. *ولزيادة البيان لتفنيد هذه القصة. يراجع في ذلك نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق تأليف محمد ناصر الدين الألباني ط٣ المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٩هـ سنة ١٩٨٩م *محمد رسول الله ﷺ تأليف د/ محمد الصادق عرجون ط٢ دار القلم بيروت سنة ١٤١٥هـ سنة ١٩٩٥م جـ٢ ص٣٠-١٥٢ فقد ساق الشيخ -رحمه الله- جميع روايات هذه الأكذوبة وفندها وكشف زيفها ورد على كل من تفوه بها أمثال ابن تيمية وابن حجر وغيرهم الكثير. وكان في رده ملتزمًا بأسلوب البحث العلمي.

مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً ﴾ [الحج: ٥٣] ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [الحج: ٥٤] مع كونه يعطي للرسالة حقها[١]..

ثانيًا: آراء أشهر الفرق في عصمة الأنبياء:

بعد أن تعرضت لرأي القاسمي في عصمة الأنبياء وبيّنت أنه أثبت العصمة للأنبياء جميعًا على جهة الإجمال، وعلى جهة التفصيل بذكر بعض النماذج التي وضحت رأيه، أذكر بعد ذلك آراء أشهر الفرق لنرى إلى أي الفرق ينتمي القاسمي:

١- المعتزلة:

ذهبت إلى القول بوجوب عصمة الأنبياء وعدم جواز وقوع الكبائر منهم لا قبل البعثة ولا بعدها. وعللوا ذلك بأن الله -سبحانه وتعالى- لابد وأن يجنب رسوله ما ينفر عن القبول منه لأنه لو لم يجنبه عما هذا حاله لم يقع القبول منه والعصمة عندهم ثابتة عقلا[٢].. وهذا القول منهم خلافًا لأبي علي فإن كلامه يقتضي أنه يجوز على الأنبياء الكبيرة قبل البعثة، وإن كان لا يجوز بعدها[٣].

٢- جمهور الأشاعرة:

أجمع الأشاعرة على وجوب العصمة للأنبياء سمعًا بعد النبوة عن الذنوب كلها وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة وتأولوا كل ما حكي في القرآن من ذنوبهم[٤].

---

(1) حديث الغرانيق د/ يوسف الدجوي. مقال نشر بمجلة نور الإسلام جـ٨ المجلد ٤ ص٥٢٦-٥٣٠ عدد شعبان بتصرف سنة ١٣٥٢.

(2) شرح الأصول الخمسة ص٥٧٣.

(3) شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٣، شرح الأصول الخمسة ص٥٧٣.

(4) أصول الدين لأبي منصور البغدادي ص١٦٧، ١٦٨ نشر مكتبة الهلال بيروت ط٢ سنة ١٤٠٠، ١٩٨٠.

وهذا القول منهم خلافًا لإمام الحرمين الذي ذهب إلى تجويز وقوع الصغائر منهم عمدًا[١]..

٣- الأزارقة[٢] من الخوارج:

ذهبوا إلى جواز وقوع الكفر من الأنبياء بناءً على قولهم بأن كل ذنب كفر[٣]..

٤- الكرامية:

أجازوا وقوع الذنوب من الأنبياء من غير تفصيل وتمسكوا بأباطيل لا أصل لها[٤]. وقد ذكر صاحب المقاصد هذه الآراء واستدل لما ذهب إليه بأدلة قوية وناقش مخالفيه فيما ذهبوا إليه[٥].

تعقيب

ظهر لي من خلال هذا المبحث ما يأتي:

١- إثبات القاسمي لعصمة الأنبياء عليهم السلام إجمالاً وتفصيلاً.

٢- تفنيد القاسمي لجميع الشبه الواردة حول العصمة وخاصة ما ورد في قصة الغرانيق هذه القصة المزورة على نبينا ﷺ والتي أريد منها هدم أصل

---

(1) شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٣.

(2) الأزراقة هي أحدى فرق الخوارج وتنسب إلى نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، من أهل البصرة صحب في أول أمره عبد الله بن عباس ولكنه خرج على علي أثناء التحكيم. قاتله المهلب بن أبي صفرة وقتل يوم دولاب عام ٦٥هـ *ينظر في ذلك الفصل لابن حزم جـ٤ هامش ص١٢٩ والفرق بين الفرق ص٨٥، ٨٦ والملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص١١١-١١٦.

(3) شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٣.

(4) شرح الأصول الخمسة ص٥٧٣، أصول الدين للبغدادي ص١٦٨.

(5) شرح المقاصد جـ٢ ص١٤٢، ١٤٣.

الإسلام بالطعن في القرآن الكريم، والعبث بالسنة المطهرة بجعل النبي ﷺ ألعوبة في يد الشيطان وفي هذا دليل واضح على عدم تقليد القاسمي لشيخه ابن تيمية في كل أقواله، وفهمه الدقيق لمعاني كتاب الله ﷻ.

٣- موافقة القاسمي لرأي الأشاعرة فيما ذهبوا إليه من القول بوجوب العصمة هو ما أميل إليه وأرجحه إذ هو الحق الذي لا يجب العدول عنه.